اليوم ليس من صنعها ولكنه نتيجة مؤامرة ثلاثية امريكية بريطانية اسرائيلية »(١٧)، أي ضد « قوى الامبريالية والاستعمار »(١٨). ومع ذلك تركز بعض الصحف على قوة امبريالية دون أخرى فـ « حكومة بون زودت اسرائيل بسم فتاك يكفي لابادة سكان القاهرة »(١٩). ان الفكر المبرر هنا يصل الى حد الخرافة ، لكن هذه الخرافة ليست متماسكة لان بعض الصحف تعتبر الهزيمة منوطة بشكل رئيسي بـ « قواعد عسكرية لامريكا وبريطانيا »(٢٠).

مهما تكن طبيعة العدو الخارجي فان التبرير يهدف الى براءة وتقديس النظام المهزوم .

بعض الصحف تقلب الاطروحة وترممها لجعلها أكثر صلابة ، فالهزيمة لا ترجع الى عامل خارجي واحد بل الى عاملين : قوة العدو من ناحية وخديعة الصديق من ناحية ثانية . والاسقاط هنا يقع على الاتحاد السوفييتي اذ يصبح الفراغ الذي نقذف اليه كل مسببات الهزيمة . « فالاتحاد السوفييتي يعترف باسرائيل »(٢١) وهو مصدر لـ « خيبة الامل »(٢٢) ولقد ارتكبنا خطأ عندما « افرطنا في حسن ظننا بالدول الاشتراكية ونسينا أن اسرائيل قد خلقت بالتعاون العجيب بين الولايات المتحدة الامريكية وروسيا السوفييتية »(٢٣). في البحث اللاهث عن التبرير المستحيل تلوي الصحافة عنق الحقيقة وتغمط الدور النشط والفعال الذي يلعبه الاتحاد السوفييتي في دعم حركة التحرر العربي ضد الصهيونية والقوى الامبريالية .

يفصح التبرير عن هشاشة محاكماته عندما يقوم بنقد ذاتي خجول ، فهو سرعان ما يتبنى أطروحة ثم يعود فيهجرها ، كل ذلك ليؤكد حقيقة واحدة هو أنه لا يحلل ولا يشرح بل يبرر أي يقوم بعكس شائه للواقع ، لذلك فاننا نعثر في حقل التبرير على جملة محاكمات ، فالهزيمة تعود الى عدم المبادرة ، حيث ان الحرب ونتائجها تحدد بعنصر يتيم هو المبادرة « مفاجأة ضرب الطيران المصري حسمت المعركة في الساعة الاولى »(٢٤). يظهر التبرير منذ البدء هشا عندما يستعمل كلمة « مفاجأة » على الرغم من كل الظواهر التي سبقت الحرب والتي كانت تشير باستمرار الى اقترابها .

ويصل « عطارو الفكر » الى اقصى درجات الابتذال عندما « تشرح » الهزيمة بلفظية نفسانية « كان يمكن احراز النصر لولا عوامل تتعلق بالنفسية العربية المبنية على حب التظاهر والطيبة وكشف الاوراق ... وهذه العوامل يتقاسم مسؤوليتها الشعب العربي نفسه ثم القيادات الثورية »(٢٥). اذن يمكن تجنب الهزيمة بتربية نفسية جديدة تحارب حب التظاهر ، وعلى هذا فالنقص يكمن في « جوهر الانسان العربي » ، ويتدارك المبرر هنا انه انتقد « القيادات الثورية » لذلك يعود ليلقي باللوم كله على الشعب العربي الذي « يريد من حكامه الثوريين والذين يثق بهم أن يعلنوا له كل شيء ، فاذا لم يعملوا ذلك يتهمهم بوطنيتهم »(٢٦).

يكشف التخلف عن ذاته حتى لو لم يرد ذلك ، فالمنطق السابق ينشر التعمية والتضليل ، أي يقوم بدور وظيفي في تشويه الانسان العربي لحساب طبقة ، مع ذلك فهو يتكلم عن الديمقراطية المطلقة الكامنة وراء الهزيمة ، فمن أسباب الهزيمة اذن ليس علاقة القمع القائمة بين الطبقة المسيطرة سياسيا والفرد ، بل تعود الى فائض الديمقراطية في سوق البرجوازية العربية .

نقطة انطلاق التبرير اذن سلامة البنيان الداخلي . اذن فالبحث عن الاسباب يدور دائما في حقل خارجي ، في الحقل هذا تأخذ مقولة الوحدة العربية دورا في التبرير ، خاصة ان هذه الوحدة ترى كجمع ذوات عربية وليس مشروعا طبقيا موجها ضد